أسبلة الملك عبد العزيز على الطريق بين مكة وجدة

للدكتور/عادل محمد نور عبد الله غباشي

ملخص البحث:

حاز الطريق بين مكة وجدة عناية المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ومن ملامح ذلك إنشاء الأسبلة على الطريق، بما يسهل للحجاج والزوار حصولهم على المياه المبردة في يسر وسهولة، ويحقق لهم أحد مطالب الحياة. ويأتي هذا العمل انطلاقاً من حرصه - رحمه الله - على كسب الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى، ومن واجب المسئولية التي تكفل بها بعد حكمه للحجاز. وقد تم العثور على ثلاثة أسبلة بنيت في مواقع متفرقة على الطريق بين مكة وجدة، صمم كل منها على شكل حوض مستطيل له فتحات للسقيا، ومغطى بقبو موتور، ويعلو واجهته الغربية لوح تأسيسي مؤرخ بعام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م. وجاء تصميم الأسبلة يسيراً في تكوينه، ومتفقاً مع إمكانات البيئة من حيث المناخ والمواد الخام المتوفرة في المنطقة، وهذا يتفق مع أسلوب بناء وتصميم الأسبلة العثمانية على الطريق بين مكة وجدة؛ مما يشير إلى احتمال بنائه على يد معماريين سبق لهم العمل في العصر العثماني.

تاريخ الأعمال:

لم تذكر المصادر التاريخية - على حد علمي - تاريخ أعمال الملك عبد العزيز في إنشاء الأسبلة على الطريق بين مكة وجدة، مما يزيد من أهمية ما حملته الأسبلة من نقوش كتابية أجلت لنا حقيقة هذه الأعمال التي تمت عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م وهي[١]:

١ - سبيل بئر أم القرون.

٢ - سبيل حداء.

٣ - سبيل بئر المقتلة.

وقبل أن نتعرض لدراسة تصميم الأسبلة سوف نتناول الدوافع التي أدت بالملك عبد العزيز - رحمه الله - إلى إنشائها.

دوافع العمل:

١ - عامل الدين والمسئولية:

بعد أن تمكن الملك عبد العزيز - رحمه الله -، من ضم مكة المكرمة إلى حكمه عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وجُدَّة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م[٢] أصبح أمر العناية بالحجاج والزوائر، وتسهيل مهمتهم من أهم أعماله[٣]؛ ولذا فقد وجه منذ السنوات الأولى من حكمه للحجاز إلى العناية بأمر توفير الماء خاصة في طرق الحج[٤]؛ بما يسر على المسلمين أداء فريضتهم في يسر وسهولة، ويوفر لهم سبل الحياة. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[٥].

قال الملك عبد العزيز - يرحمه الله - بعد أن تسلم مدينة جُدَّة في جمادى الآخرة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م: «إن بلد الله الحرام في إقبال وخير وأمن وراحة، وإنني إن شاء الله تعالى سأبذل جهدي فيما يؤمن البلاد المقدسة، ويجلب الراحة والاطمئنان لها»[٦] ولا شك أن عنايته - رحمه الله - بتوفير المياه

المبردة في الأسبلة على الطريق بين مكة وجدة من أهم ما يجلب الراحة للمسلمين، وطريق من طرق الخير لكسب الأجر والثواب عند الله كما يقول رسولنا محمد ـ ﷺ ـ، في حديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أنها قالت: يا رسول الله ما الشيُ الذي لا يحل منعه؟ قال: الماء والملح والنار. قالت: قلت يا رسول الله هذا الماء قد عرفناه، فما بال الملح والنار؟ قال: يا حميراء من أعطى ناراً فكأنما تصدق بجميع ما أنضجت تلك النار، ومن أعطى ملحاً، فكأنما تصدق بجميع ما طيب ذلك الملح، ومن سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبةً، ومن سقى مسلماً شربةً من ماءٍ حيث لا يوجد فكأنما أحياها»(٧).

كما روى سعد بن عبادة أنه قال: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: سقي الماء»(٨).

٢ ـ عدم كفاية الأسبلة السابقة لعصر الملك عبد العزيز من الوفاء بحاجة المارة من المياه.

ويزكي هذا الرأي النظر إلى الفترة الزمنية التي أُنشئت بها أسبلة الملك عبد العزيز، حيث إن سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م تعاصر اشتداد وطأة الحرب العالمية الثانية(٩) المعروف أثرها الاقتصادي على معظم دول العالم، وعلى هذا فلو كانت الأسبلة السابقة لعصر الملك عبد العزيز في حالة عمارة جيدةٍ وعددها كافٍ لما تطلب الأمر إنشاء أسبلة جديدة لأن في ذلك إهداراً للمال، علاوة على قلة موارده في ذلك الوقت.

٣ ـ زيادة اتساع عمران مكة وجدة:

إن المتتبع لحركة النمو العمراني في مكة وجدة في عصر الملك عبد العزيز يجد أن اتساع عمران هاتين المدينتين قد ازداد بشكل كبير عن العصور السابقة(١٠)

وهذا يعني زيادة في عدد السكان، وزيادة في تنقلاتهم إضافة إلى أن جدة كانت في ذلك العصر أهم ميناء حجازي على البحر الأحمر[11]؛ مما يجعلنا نرجح أن ذلك أثر على زيادة الحركة المرورية بين مكة وجدة؛ فاستدعى بناء أسبلة جديدة لسد احتياجات عابري السبيل المتزايدة.

وصف تحليلي لمواقع الأسبلة وتصميمها:

١ ـ سبيل بئر أم القرون:

أ ـ الموقع: يقع ملاصقاً لبئر أم القرون ـ من الجهة الغربية ـ على الطريق بين مكة وجدة، وعلى وجه التحديد غرب أعلام حدود حرم مكة الغربية بنحو ١٢,٢ كم، ويبعد عن طريق الأزفلت الحديث بنحو ١ كلم في طريق متعرج متجه جنوباً. شكل رقم (١).

وقد كان هذا الموقع معروفاً ترده الأعراب وعابرو السبيل لوجود بئر به ـ تعرف بئر أم القرون ـ وصفها إبراهيم رفعت عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م بما يلي: «بئر أم القرون... على اليسار يقصد يسار المتجه لمكة مبنية بالحجارة وعمقها ١٠ أمتار، لها أربعة أعمدة تدور عليها أقطاب البكر التي ترفع بها الدلاء، وماء هذه البئر عذب فرات»[12]. وهذا يشير إلى أن الموقع لم يكن به سبيل ماء إلى عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م مما استدعى بناء سبيل في عصر الملك عبد العزيز يسهل للمارة حصولهم على المياه المبردة في يسر وسهولة، مع ملاحظة أن ما تم عمله في عصر الملك عبد العزيز في هذا الموقع اقتصر على بناء السبيل، أما البئر فإنها تبدو كما وصفها إبراهيم رفعت عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م؛ فأعمدتها الأربعة لا تزال قائمة وعمقها يقدر بنحو ١٠م وهذا يتفق مع ما أشار إليه إبراهيم رفعت، إلا أن الماء قد نضب منها منذ ما يقرب من أربع سنوات[13].

ب ـ تصميم السبيل :

يأخذ شكل حوض مستطيل له فتحات للسقيا في جهتيه الغربية والجنوبية، ويغطيه قبو موتور. شكل رقم (٢)، ولوحة رقم (٥). ويبلغ طول السبيل من الخارج ٢,٦٠م، وعرضه ١,٥٥م، وارتفاعه غير واضح الآن ـ ٢٥/٩/١٤١٣هـ ـ نظراً لوجود ردم ترابي، إلا أنه يمكن التعرف على ذلك تقريباً عند مقارنته بسبيل حذاء المعاصر له، والمنشأ على نمط تخطيطه، وعليه فمن المحتمل أن يكون ارتفاع فتحات السقيا عن مستوى الأرض الطبيعية ١م، وارتفاع السبيل من الأرض إلى بداية القبو حوالي ١,٥٠م. شكل (٢، ٣) ولوحة (٥، ٦). واشتمل السبيل على أربع فتحات للسقيا، ثلاثٌ منها في الواجهة الغربية، وواحدةٌ في واجهته الجنوبية، يأخذ كلٌ منها شكل مستطيلٍ منته في أعلاه بعقد موتور، أبعاده حوالي ٢٧ × ٣٥سم، كما حوى السبيل فتحة مربعةً (٥٠ × ٥٠سم) لتنظيفه في منتصف الواجهة الشمالية. شكل (٢)، ولوحة رقم (٥).

ويشاهد في حوالي منتصف ضلع السبيل الشرقي الملاصق للبئر آثار منطقةٍ خالية من الملاط أبعادها حوالي ٦٠ × ٦٠سم من المحتمل أن تكون موضع حوض لاستقبال مياه البئر بوساطة الدلاء، ونقلها إلى السبيل عبر قصاب فخارية لا تزال ظاهرة داخل السبيل. شكل (٢).

وتتميز واجهة السبيل الغربية من بقية الواجهات باحتوائها على نقش تأسيسي لعمارة السبيل وضع داخل إطار مستطيل فوقه جامة دائرية، ويحيط بها شكل مستطيل ينتهي في أعلاه بشكل مثلث، ويتفرع من جانبيه فرع نباتي منتهيا بشكل ملفات حلزونية، لوحة (٥). ويلتف بواجهات السبيل الجنوبية والغربية والشمالية إيزار سمكه ٧سم، ويبرز عن جدار السبيل بنحو ٥سم،

أضفى على السبيل منظراً جمالياً لـدوره في ربط نهاية جدار السبيل العلوية بالقبو. لوحة (٥).

٢ ـ سبيل حداء :

أ ـ الموقع : يقع ملاصقاً للبئر ـ من الجهة الغربية ـ على الطريق بين مكة وجدة، ويبعد عن أعلام حدود حرم مكة الغربية نحو ٩,١ كم غرباً، كما يبعد عن طريق الأسفلت الحديث حوالي ٧٥م جنوباً. شكل رقم (١). ويُعرِّفُ أهل حداء هذا السبيل بسبيل حداء، ولعل تسميته جاءت نسبةً لموقعه الذي درج المتأخرون من الرحالة على تسميته (حدة)، وهو تعريف لاسمها(١٤).

وقد كانت حداء معروفة لعابري الطريق بين مكة وجدة في العصر العثماني؛ فذكرها إبراهيم رفعت عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م بما يلي: «هي بلدة صغيرة على اليسار يقصد يسار المتجه لمكة بها حصن ومسجد ذو مئذنة وعين ماء حلوة وبئران على يسار الطريق، وبها نحو ٦٠٠ نخلة يملكها عون الرفيق باشا شريف مكة . . . وكان المحمل يبيت بحدّة، ثم عدل عنها إلى بحرة لما أن تعدى أهلها عليه»(١٥). كما عسكر بها جيش الملك عبد العزيز المتجه من مكة إلى جُدَّة في جمادى الآخرة عام ١٣٤٣هـ/ ١/ ١٩٢٥م، وعقدت بها اتفاقية بين الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ والسير جلبرت كلايتون المندوب المفوض عن الحكومة البريطانية، عرفت باتفاقية حداء، مؤرخة في ١٥/ ٣/ ١٣٤٤هـ ـ ٢ تشرين الثاني/ ١٩٢٥م(١٦).

ويلحظ وجود بئر في الجهة الشمالية الشرقية على بعد ١٠٤م تقريباً ـ من سبيل حداء الملاصق للبئر، مما يجعلنا نرجح أن هذين البئرين هما المقصودان من كلام إبراهيم رفعت عنهما عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.

ب ـ تصميم السبيل:

يأخذ شكل حوض مستطيل له فتحات للسقيا من جهتيه الشمالية والغربية، ويغطيه قبو موتور، شكل (٣، ٤)، ولوحة (٦، ٧). ويبلغ طول السبيل من الخارج ٢,٥٠م، وعرضه ١,٥٤م، وارتفاعه عن مستوى الأرض الآن إلى بداية القبو ١,٥٧م في الجهة الغربية، و ١,٧٠م في الجهة الشمالية، وسمك جداره ٣٠ سم، وقد أُنشئ في منتصف واجهته الجنوبية، وعلى ارتفاع ٨٠ سم تقريبا عن الأرض فتحة باب مربعة طول ضلعها ٥٠ سم، لدخول السبيل وتنظيفه. شكل (٣، ٤) ولوحة (٦، ٧)، ووزعت فتحات السقيا كما يلي:

- فتحتان في الجهة الشمالية.
- ثلاث فتحات في الجهة الغربية.

وتأخذ كل فتحة من هذه الفتحات شكلاً مستطيلاً منتهياً في أعلاه بعقد موتور، عرض كل منها ٢٧سم، وارتفاعها ٣٦ سم. شكل (٣)، ولوحة (٧). ومن الطبيعي أن يكون موقع هذه الفتحات في متناول الإنسان العادي، بمعنى أنها لا ترتفع في المنطقة المنحدرة عن ١,١٥م عن مستوى الأرض الآن، وترتفع حوالي ١م عن مستوى الأرض من الجهة الغربية. شكل (٣)، ولوحة(٦).

ويلتف إيزار سمكه ٧سم حول محيط السبيل من الجهات الجنوبية والغربية والشمالية ليربط نهاية جدران السبيل ببداية القبو. شكل (٣)، ولوحة (٦). ويبرز من جهة ناحية السبيل الجنوبية الشرقية في المنطقة التي يلتصق فيها السبيل بالبئر حوض يلتصق بإحدى دعامتي البئر ليستمد مياهه من البئر عبر الدلاء، وينقلها إلى السبيل عبر قصاب فخارية قطرها حوالي ٧سم. ويأخذ

هــذا الحوض من الخارج شكـلاً مكعبـاً أبعـاده ٦٠ × ٥٠ × ٥٠ سم، ومن الداخل شكـلاً دائرياً قطره ٣٥سم. شكل (٤)، ولوحة (٨، ٩). وقد تميزت واجهة السبيل الغـربية من بقية الـواجهات باحتـوائها على نقش تأسيسي لعمارة السبيل، وضع داخل إطـار مستطيل فـوقـه جـامـة دائريـة، ويحيط بهما شكل مستطيل ينتهي في أعـلاه بشكل مثلث، ويتفـرع من جـانبيـه فرع نبـاتي منتهيـا بشكل ملفات محلاقية. شكل (٣) ولوحة (٦).

٣ـ سبيل بئر المقتلة:

أـ الموقع: يقع ملاصقـاً للبئر ـ من الجهة الغـربية ـ على الطريق بين مكـة وجُدَّة، شرق أعلام حـدود حرم مكة الغربية بنحـو ١٠ كلم، ويبعد عن طريق الأسفلت الحديث نحو ٤٠م جنوباً. شكل رقم (١).

وقد كان هذا الموقع معروفاً لعابري السبيل بين مكة وجدة، أشار إليه إبراهيم رفعت عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م بما يلي:

«ومررنـا... بقلعة المقتلة وهي على اليمين... وتحتهـا بئر مطوية بـالحجر عمقها حوالي ٢٠ متراً، وعليهـا دعامتان لوضـع محور البكرة عليهما، ولها ثلاث درجات يقف عليهـا من يخرج الماء منها، وماؤها عـذب غزير» (١٧). ونستنتج من هذا عدم وجود سبيل في هذا الموقع إلى عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، مما تطلب بناء سبيل في عصر الملك عبد العزيـز يساعد المارين في الحصول على المياه المبردة مع مـلاحظـة أن البئـر الموصـوفـة في النص لا تـزال قـائمـةً إلى الآن ـ ٢٥/ ٩/ ١٤١٣هـ ـ وتشتهر بغزارة مياهها، وهي التي كانت تمد السبيل بالماء.

ب ـ تصميم السبيل:

يأخـذ شكل حوض مستطيل يغطيه قبوٌ مـوتور، طـوله ٦٣, ٢م، وعـرضه ٥٠, ١م، ولـه ثلاث فتحـات للسقيـا في واجهته الغـربيـة، وفتحة في واجهتـه

الشمالية، أبعاد كل منها ٢٧ × ٣٦ سم. شكل رقم (٥)، ولوحة رقم (١٠، ١١)، واحتوت واجهته الجنوبية على فتحة لتنظيفه أبعادها ٥٠ × ٥٠ سم، وبني بجواره من الجهة الشرقية في المنطقة التي تصل السبيل بالبئر حوض مكعب أبعاده ٦٠ × ٦٠ × ٦٠سم لاستقبال مياه البئر عبر الدلاء، ونقلها إلى السبيل عبر قصاب فخارية قطرها ٧سم. شكل رقم (٥). ولم أتمكن من أخذ ارتفاعات السبيل وتتبع واجهته الغربية، لوجود غرفة حديثة بنيت ملاصقة لواجهة البئر الغربية، وردم المنطقة المحيطة بالسبيل إلا أنه يمكن القول من خلال الأجزاء الباقية إن واجهة السبيل الغربية، وارتفاعاته تتفق مع السبيلين الآخرين موضع الدراسة. شكل رقم (٥)، ولوحة رقم (٥، ٦، ١٠، ١١).

مواد البناء وأسلوبه:

لقد استخدم في بناء الأسبلة ما توفر في البيئة المحلية من مواد بناء كأحجار البازلت غير المهذبة التي يمكن الحصول عليها من الجبال المجاورة لموقع الأسبلة، والآجر والنورة والفخار وتراب الفحم وهي من المواد التي تنتشر مصانعها في مكة المكرمة[١٨]، وتم البناء وفق ما يلي:

١ ـ بنيت أساسات الجدران بأحجار البازلت غير المهذبة. سمك ٤٥ سم تقريباً، ثم بنيت الجدران بالآجر المحروق. سمك ٣٠سم. شكل (٢، ٤، ٥).

٢ ـ تم بناء غطاء السبيل على شكل قبو من الآجر المحروق، وهي مادة تتسم بخفة وزنها مقارنة بالحجارة؛ وهذا يفسر لنا أسباب اختيار المعمار لسمك جدران السبيل بـ ٣٠ سم. لوحة رقم (١١).

٣ ـ تم تجصيص السبيل من الداخل والخارج بطبقة ملاط ـ من موادها النورة وتراب الفحم والرمل والماء بسمك يتراوح ما بين ٣ ـ ٥ ملم ـ لمنع تسرب

الماء من داخل الحوض، وزيادة تحمله لعوامل التعرية الخارجية، وإكسابه جمالاً في المنظر. لوحة رقم (٥، ٦، ٩).

٤ ـ استخدمت قصاب من الفخار بقطر ٧سم لربط السبيل بحوضه المغذي له بالماء. لوحة رقم (٩).

النقوش الكتابية على الأسبلة:

١) نقش سبيل بئر أم القرون لوحة (١).

الموقع: يقع في أعلى واجهة السبيل الغربية.

حالة النقش: متصدع، وقد سقطت أجزاء من أحرف كلماته في السطرين والتاريخ، ولكن أمكن قراءتها بتتبع آثار الكلمات.

موضوعه: نقش تأسيسي لإنشاء سبيل.

خطه: ثلث بارز نفذ بطريقة الصب في قالب.

مادته: جص.

عدد أسطره: سطران وهامش أيسر نفذت داخل إطار مستطيل تعلوه جامة دائرية قطرها ٢٤سم

أبعاده من الخارج: ٥, ٨٢سم × ٤٨,٥سم.

نصه:

داخل جامة دائرية: بسم الله الرحمن الرحيم... سنبل

السطر الأول: أنشئ هذا السبيل في عهد حضرة صاحب الجلالة

السطر الثاني: الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود

هامش أيسر: (سنة ١٣٦١ هجرية)

٢ ـ نقش سبيل حداء: لوحة رقم (٢).

الموقع: في أعلى الواجهة الغربية للسبيل.

حالة النقش: متصدع مع سقوط بضعة أحرف منه، ولكن يمكن قراءتها بتتبع آثارها.

موضوعه: نقش تأسيسي لعمارة سبيل.

تاريخه: ١٣٦١هـ.

خطه: ثلث نفذ بطريقة الصب في قالب.

عدد أسطره: سطران وهامش أيسر نفذت داخل إطار مستطيل تعلوه جامةٌ دائريةٌ قطرها ٢٤سم.

مادته: الجص.

أبعاده من الخارج: ٨٢سم × ٤٨سم.

نصه:

داخل جامة دائرية: بسم الله الرحمن الرحيم... (سنبل)

السطر الأول: أنشئ هذا السبيل في عهد حضرة صاحب الجلالة

السطر الثاني: الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود.

هامش أيسر: ١٣٦١ هجرية.

٣ـ نقش سبيل بئر المقتلة: لوحة رقم (٣، ٤).

الموقع: كان يقع حين قمت بتصويره عام ١٤٠٧هـ في أعلى واجهة السبيل الغربية، وقد بنيت حديثا غرفة ملاصقة له حجبت رؤيته عن المارة.

حالة النقش عام ١٤٠٧هـ: سقطت منه بضع كلمات في السطرين، ولكن يمكن قراءتها بتتبع آثارها على النقش، كما سقطت الجامة التي كانت تقع في أعلى النقش وألصقت في موضع بني حديثاً على بعد ٧٠ و ٠م من النقش.

موضوعه: لوح تأسيسي لإنشاء سبيل.

تاريخه: ١٣٦١هـ.

خطه : ثلث بارز نفذ بطريقة الصب في قالب .

مادته : جص .

عدد أسطره : سطران وهامش أيسر نفذت داخل إطار مستطيل تعلوه جامة .

أبعاده من الخارج : ٨٢ × ٤٨ سم .

نصه :

داخل جامة دائرية : بسم الله الرحمن الرحيم . . . سنبل

السطر الأول : أُنشئ هذا السبيل في عهد حضرة صاحب الجلالة

السطر الثاني : الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود

هامش أيسر : سنة ١٣٦١ (هجرية)

ملحوظات على النقوش :

١ ـ يرجح أنها نفذت بأسلوب الصب في قالب، ويؤيد ذلك ما يلي :

أ ـ تتفق جميع النقوش من حيث رسم الكلمات، ومواضع حركات الإعراب، ونقاط الإعجام، وترتيب الكلمات، ابتداء من أول كلمةٍ في النص إلى آخر كلمة .

ب ـ تتفق أبعاد إطارات النقوش مع بعضها إلى درجةٍ كبيرةٍ جداً، والفرق المقدر بحوالي ١ ـ ٢,٥ سم راجع إلى أسلوب تركيب الإطار، فمنها ما يأخذ زاوية قائمة ٩٠°، ومنها ما يقل عن ذلك مما أوجد الفرق المقدر من ١ ـ ٢,٥ سم .

جـ ـ تتفق أطوال أحرف الكلمات في كل النقوش، ومن ذلك على سبيل المثال حرف الألف لكلمة «أنشئ» في السطر الأول، فقد بلغ طوله ١٧,٥ سم، كما بلغ طول حرف الألف لكلمة «الملك» في السطر الثاني

١٧,٥ سم.

٢ ـ لقد سقطت كلمات من النقوش، ولكن أمكن قراءتها بتتبع آثارها على النقش، مع الاستدلال بالنقش السليم ومقارنته، ومن ذلك على سبيل المثال: الهامش الأيسر في النقش الأول، وكلمة «سنبل» في جامة النقش الثاني، وكلمات من السطرين الأول والثاني في النقش الثالث.

٣ ـ التزم الكاتب بوضع جميع حركات الإعراب بما يسهل قراءة النقش لمن لا يتقن العربية، خاصة وأن مواضع هذه الكتابات في طريق الحجاج والزوار الذين منهم أعدادٌ كبيرةٌ من غير العرب.

٤ ـ وفق المعمار إلى حد كبير في اختيار مواقع النقوش على الأسبلة فثبتها في أعلى الواجهة الغربية لكل سبيل؛ وهذه تقع في مواجهة كل زائر لمكة.

٥ ـ من المحتمل أن أسلوب تنفيذ النقوش بالصب في قالب تم كما يتبع في الوقت الحاضر، والذي يمكن تلخيصه بما يلي: (١٩).

أ ـ يُعد لوحٌ من الجص أو الخشب وترسم عليه الكتابة.

ب ـ تحفر الأرضيات حول محيط أحرف الكتابة ونقاط الإعجام وحركات الإعراب، فتظهر بارزة فوق الأرضية.

جـ ـ يستخرج من هذا القالب الإيجابي قالب سلبي من إحدى مادتين:

١ ـ الجص، ويستخدم مباشرة بعد جفافه في عمل اللوحات.

٢ ـ الطين، ويلزمه قبل الاستخدام أن يحرق لإكسابه الصلابة اللازمة.

وقد سبق استخدام هذا الأسلوب في الطراز الثالث من طراز الزخارف الجصية في سامراء(٢٠).

٦ ـ ترجمة صاحب النقش:

إن منشئ هذه الأسبلة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

غني عن التعريف؛ فقد كُتب عن سيرته وأعماله الخيرة عشرات المؤلفات، ونكتفي هنا بذكر نبذةٍ مختصرةٍ عنه منعا للتكرار. فقد بدأ مسيرته الحضارية لتوحيد أرجاء الجزيرة العربية باسترجاعه للرياض في ٥/ ١٠/ ١٣١٩هـ - ١٥/ ١/ ١٩٠٢م(٢١)، ثم تابع أعماله العسكرية خارج مدينة الرياض إلى أن استطاع بمشيئة الله لم شمل المملكة العربية السعودية، وتمكن من بسط الأمن والسلام والاستقرار على أرجاء وطنه، واجتهد في الرقي ببلده من خلال تشجيعه للعلم والصناعة والتجارة والبناء، وجلب كل ما فيه خير، وفيه سبب من أسباب التقدم لمُواطن المملكة العربية السعودية(٢٢)، وتوفي عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م(٢٣).

٧ـ ألقاب صاحب النقش:

ورد على النقش لقب «صاحب الجلالة» و «الملك» وقد عُرفت في الدولة الإسلامية أسماء وظائف كثيرة مؤلفة من لفظ صاحب مضاف إلى كلمات أخرى(٢٤)، أما لقب الملك فقد كان من الألقاب التي تطلق على الزعيم الأعظم(٢٥)، وقد تلقب به الملك عبد العزيز بعد ضمه الحجاز عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م(٢٦).

٨ ـ وردت كلمة «سنبل» تحت البسملة في النقشين الأول والثالث، ويلحظ سقوطها من النقش الثاني. ولم أستطع التعرف على شخصيته، ويحتمل أن يكون خطاط اللوحات، ونقش اسمه جريا على عادة الخطاطين في توقيع أسمائهم على النقوش.

طراز الأسبلة:

يظهر بمقارنتها بتصميم وأسلوب بناء سبيلين عثمانيين على الطريق بين مكة وجدة، أحدهما عبارة عن حوض مربع مغطى بقبة، وله فتحات للسقيا، وهذا

يـرجع إلى عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م[٢٧]، والآخر عبارة عن حـوض مستطيل مغطى بمجاديل حجرية، وله فتحات للسقيا، يـرجع تاريخه إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري[٢٨]. وبمقارنـة هذين السبيلين بـالأسبلة مـوضوع البحث نصل إلى ما يلي:

١ ـ استطاع معمار أسبلة الملك عبد العـزيز أن يستمـد فكرة تصميم السبيل من الأسبلة العثمانيـة المجاورة دون أن يعمد إلى مطـابقتها، فبينما سقف كل من هـذين السبيلين بقبة أو بمجـاديل حجريـة[٢٩]، نجـد أن التسقيف بقبو هـو الطريقة التـي نفذها معمار أسبلة الملك عبد العـزيز، وميزها بـذلك عن الأسبلة العثمانيـة، مع الاحتفـاظ بفكـرة تصميم السبيل المتمثلـة في عمل حـوض للماء يفصل بينه وبين حـرارة الشمس غطاء يرتفع عن الحوض، ليكون بـذلك عازلاً حـراريـاً، وهـو الهواء الـذي يفصل سقـف السبيل عن سطح الماء، كما يمكن للهواء المرور عبر فتحات السقيا؛ مما يسهل عملية التبريد.

ويلحظ أن هذا الأسلوب يتلاءم مع معطيات البيئة وإمكانات ذلك العصر.

٢ ـ اتفقت مواد وأسلوب بناء أسبلة الملك عبد العزيز مع السبيلين العثمانيين موضـوع المقارنـة[٣٠]. وممـا سـاعـد على هذا أن كـل مواد البنـاء المستخدمـة في الأسبلة ـ سواء ما أُنشئ منهـا في عصر الملك عبد العزيز، أو ما أُنشئ في العصر العثماني ـ من معطيـات البيئـة المحليـة، عـلاوة على أن الفترة بين نهـايـة حكم العثمانيين لمكة، وبداية حكم الملك عبد العزيز لها فترة قصيرة تقدر بحوالي تسع سنوات[٣١]، مما يعني استمرار التـأثر بالأساليب المعمارية السـابقة لعصر الملك عبد العزيز.

الخاتمة

١ ـ نظراً لحاجة الطريق بين مكة وجدة إلى وجود أسبلة لإرواء ظمأ المارين؛ فقد تكفل الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بإنشائها، وأيد ذلك الكشف عن ثلاثة أسبلة، وأرجو من الله أن يوفق في الكشف عن غيرها.

٢ ـ تم بناء الأسبلة من حرص الملك عبد العزيز على كسب الأجر والثواب من الله، ومن واجب المسئولية التي تحملها بعد حكمه للحجاز.

٣ ـ أمدتنا اللوحات التأسيسية بتاريخ إنشاء الأسبلة (١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م) وهذا ما لم نعثر عليه في المراجع التاريخية.

٤ ـ صمم بناء الأسبلة على شكل حوض مستطيل له فتحات للسقيا، ويغطيه قبو موتور، وهذا يتفق مع إمكانات البيئة المحلية ومناخها.

٥ ـ جاء تصميمُ الأسبلة متأثراً بأسبلة العثمانيين على الطريق بين مكة وجدة لقصر الفترة الزمنية بين نهاية حكم العثمانيين للحجاز وبداية حكم الملك عبد العزيز له حيث إن حكم العثمانيين انتهى عام ١٣٣٤هـ/ ١٨١٦م، وبدأ حكم الملك عبد العزيز عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م مما يجعلنا نرى احتمال أن بناء الأسبلة تم على يد معماريين سبق لهم العمل في العصر العثماني.

٦ ـ تم بناءُ الأسبلة بمواد محلية على نمط المنشآت السابقة لعصر الملك عبد العزيز.

٧ ـ نفذت اللوحات التأسيسية بأسلوب الصب في قالب، وهي طريقة تتناسب مع الإمكانات المادية المتوفرة في فترة الإنشاء.

٨ ـ لحظت من ترددي على مواقع الأسبلة ـ للدراسة ـ حاجتها إلى ترميم

ومحافظة ؛ وعليه فأوصي بترميمها وحمايتها لأهميتها التاريخية والأثرية علاوة على أنها وثائق مادية عن أعمال الملك عبد العزيز في سبيل راحة الحجاج وعابري الطريق .

• • •

الهوامش

(١) انظر النقوش الكتابية من هذا البحث .

(٢) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ط٦ (مكة المكرمة ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص ٦٤٠ ، ٦٥٨ .

(٣) خير الدين الزركلي ، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ط٣ ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٧م) ، ص ٣٥٥ .

(٤) خير الدين الزركلي ، الوجيز ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(٥) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، آية رقم ٣٠ .

(٦) خير الدين الزركلي ، الوجيز ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٧) ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة ، حقق نصوصه ، ورقم كتبه وأحاديثه ، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة ، دار الحديث ، د . ت .) جـ٢ ، ص ٨٢٦ ، ٨٢٧ .

(٨) ابن ماجة ، سنن ، جـ٢ ، ص ١٢١٤ .

(٩) عن أحداث الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م انظر : اللواء كونثر بلومنتريت ، أسرار الحرب العالمية الثانية في سيرة أبرز قائد ألماني المشير فون رونشتد القائد الإنسان ، ترجمة اللواء الركن محمود شيت خطاب ، ط٢ (بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د . ت .) ص ١٤٦ ـ ١٨٤ ، رمضان لاوند ، الحرب العالمية الثانية عرض مصور ، ط٧ (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م) ص ١٦٩ ـ ٢٥٢ .

(١٠) محمد طاهر الكردي المكي ، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، ط١ (مكة المكرمة ، مكتبة النهضة الحديثة ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) جـ٥ ص ٤١٦ ، ٤١٧ ، جـ٦ ، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٥ .

(١١) عبد القدوس الأنصاري ، موسوعة تاريخ مدينة جدة ، ط٣ (القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

(١٢) اللواء إبراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، (د . م) جـ١ ، ص ٢٧ .

(١٤) عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط١ (مكة المكرمة، دار مكة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ص ٨١.

(١٥) اللواء إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، جـ١، ص ٢٧.

(١٦) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، وسيرة عبد العزيز عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ط٦ (بيروت، دار الجيل، ١٩٨٨م)، ص ٣٩٢، ٣٩٤، ٤٤١ ـ ٤٤٥.

(١٧) اللواء إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، جـ١، ص ٢٨.

(١٨) دكتور عبد العزيز صقر الغامدي ودكتور محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، مكة المكرمة في شذرات الذهب للغزواي، دراسة وتحقيق لبعض المعالم الجغرافية، (مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٠٥هـ) ص ٨٢، ٨٣، ١٤٣، ١٥٥، محمد طاهر الكردي المكي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ط١ (مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٥هـ)، ص ١٣٥، ٢٦٥، ٢٦٦.

(١٩) د. فريد شافعي، زخارف وطرز سامراء، مجلة كلية الآداب، المجلد ١٣، (القاهرة، ديسمبر ١٩٥١م) ص ٧.

(٢٠) د. فريد شافعي، زخارف وطراز سامراء، ص ٥ ـ ٧.

(٢١) أمين الريحاني، تاريخ نجد، ص ١٢٦.

(٢٢) عن هذه الأعمال انظر على سبيل المثال: خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ط٢ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، أربعة أجزاء.

(٢٣) سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ط٢ (الرياض، مطابع المدينة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) جـ١ ص١٨٧.

(٢٤) د. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية (القاهرة، دار النهضة العربية)، ١٩٦٥م، جـ٢، ص ٦٥٤.

(٢٥) د. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ٣، ص ١١٣٩.

(٢٦) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة، جـ٢ ص ٦٥٠، سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، جـ١ ص ١٥٠.

(٢٧) عادل محمد نور عبد الله غباشي، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني. دراسة حضارية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى ١٤١٠هـ، جـ١ ص ٢٦٦، ٤٣٦، ٤٣٧.

(٢٨) عادل غباشي، المنشآت المائية، جـ١ ص ٢٦٧، ٤٣٨، ٤٣٩.

(٢٩) عادل غباشي، المنشآت المائية، جـ٢، لوحة رقم (١١٩، ١٢٤)، وشكل رقم (٤١، ٤٥، ٤٨).

(٣٠) عن أسلوب بناء الأسبلة العثمانية على الطريق بين مكة وجدة: انظر عادل غباشي، المنشآت المائية، جـ١ ص ٤٣٨.

(٣١) بدأت ثورة الشريف حسين بن علي أمير مكة على الأتراك العثمانيين عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، واستمر في حكمه لها إلى عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، أحمد السباعي، تاريخ مكة، ص ص ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٤٠، ٦٤١.

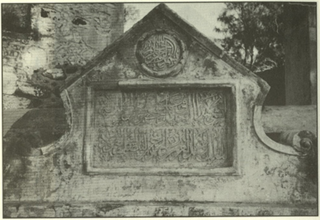

لوحة رقم (١): نقش كتابي لإنشاء سبيل أم القرون عام ١٣٦١هـ.

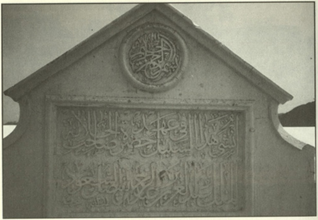

لوحة رقم (٢): نقش كتابي لإنشاء سبيل حداء عام ١٣٦١هـ.

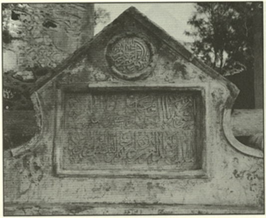

لوحة رقم (٣): جامة بها البسملة كانت تقع فوق لوح تأسيس لعمارة سبيل بئر المقتلة.

لوحة رقم (٤): نقش كتابي لإنشاء سبيل بئر المقتلة عام ١٣٦١هـ.

لوحة رقم (٥) : الواجهة الغربية لسبيل أم القرون.

لوحة رقم (٦) : الواجهة الغربية لسبيل حداء.

لوحة رقم (٧) : فتحات السقيا وسمك الجدار في سبيل حداء .

لوحة رقم (٨) : حوض نقل المياه إلى سبيل حداء .

لوحة رقم (٩): ماسورة فخارية لنقل المياه من الحوض الخارجي إلى سبيل حداء.

لوحة رقم (١٠): الواجهة الغربية لسبيل بئر المقتلة.

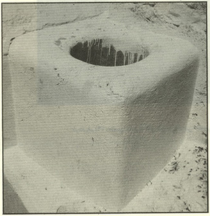

لوحة رقم (١١): اسلوب تسقيف سبيل بئر المقتلة.

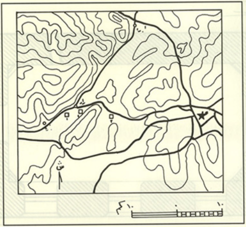

شكل رقم (١): خارطة لمواقع الأسبلة على الطريق بين مكة وجدة:

١ ـ سبيل بئر أم القرون. ٢ ـ سبيل حداء. ٣ ـ سبيل بئر المقتلة.

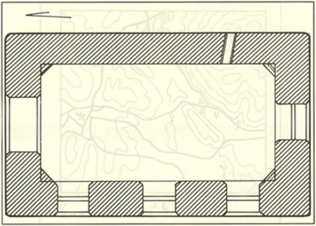

شكل رقم (٢): مسقط أفقي لسبيل بئر أم القرون.

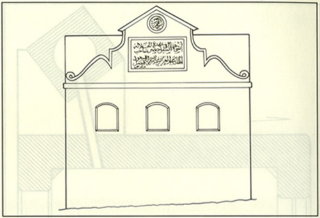

شكل رقم (٣): الواجهة الغربية لسبيل حداء.

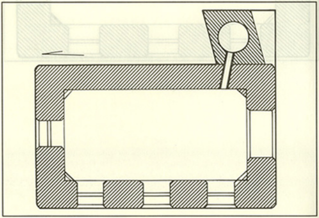

شكل رقم (٤): مسقط أفقي لسبيل حداء.

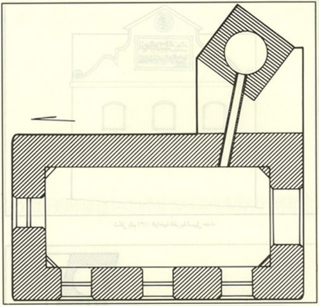

شكل رقم (٥): مسقط أفقي لسبيل بئر المقتلة.